

التناص في شعر الرصافي

رغد حميد عبدالله*

ملخص

يمثل (التناص) أحد أهم الظواهر الأدبية التي ينبني موضوعها على التأثير والتأثر بين الإنتاج الأدبي للأديب، وبين موروثه الديني والثقافي والأدبي، ويتناول هذا البحث هذه الظاهرة من خلال شعر الأستاذ معروف الرصافي، وذلك من خلال محورين: محور النصوص الدينية المتمثلة في القرآن الكريم، ومحور النصوص الأدبية المتمثلة في الشعر القديم، على الصعيدين اللفظي والمعنوي. الكلمات الدالة: الادب، الشعر.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهداة المهديين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد... فإن من ينتبع حركة الإبداع الأدبي والشعري منذ عصورها الأولى يجد أن الثقافة الأدبية، والمخزون الأدبي السابق لدى الأديب أو الشاعر يشكل ركنا كبيرا من أركان إبداعه الأدبي وإنتاجه الشعري؛ حتى إن القاضي الجرجاني (ت: 395هـ) جعل رواية الشاعر لأشعار من قبله أحد الأركان التي تقوم عليها موهبته الشعرية، والتي يتأثر بها إنتاجه الشعري تأثراً لا يُنكر (الجرجاني د.ت)

ومن يتأمل الإنتاج الأدبي والشعري منذ العصور الأولى يجد هذا ظاهراً جداً؛ إما على المستوى اللفظي كقول الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد: (ناصر الدين 2002)

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهْمُ يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ

الذي أخذه من قول سابقه امرئ القيس: (عبد الرحمن المصطاوي 2004)

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهْمُ يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ

وإما على المستوى المعنوي كقول امرئ القيس معترفاً بأنه أخذ المقدمة الطللية عن شاعر سبقه يدعى ابن حذام (ابن سلام الجحامي، د.ت)

عُوجًا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعَلَّنَا نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حَذَامِ

ومن ينتبع الأدب العربي، والإنتاج الشعري يجد أمثلة لهذه الظاهر لا يمكن عدها ولا حصرها. هذا وقد توسع النقد الحديث في دراسة هذه الظاهرة الظاهرة تأثر الحديث بالذي سبقه- ووضعوا لها مصطلحا حادثا هو مصطلح (التناص)، وتوسع النقد في استيقاء الأمثلة على هذه الظاهرة من الشعر القديم والحديث على حد سواء. وفي هذا البحث دراسة لهذه الظاهرة عن شاعر من أبرز شعراء العصر الحديث، وهو الشاعر معروف الرصافي، وذلك من خلال تحليل بعض الأمثلة التي تعبر عن هذه الظاهرة في شعره، وبيان المصادر التناصية التي تعود إليها هذه الأمثلة من شعره.

* جامعة الانبار، العراق. تاريخ استلام البحث 2019/2/26، وتاريخ قبوله 2019/4/28.

مشكلة الدراسة:

تتناول هذه الدراسة البحث عن ظاهرة التناص في شعر الشاعر الكبير معروف الرصافي، من خلال معرفة المصادر التناصية في شعره، وبيان بعض الأمثلة عليها.

أسئلة الدراسة:

- 1) ما مفهوم التناص لغة واصطلاحاً؟
- 2) ما المصادر التناصية في شعر الرصافي؟
- 3) ما أبرز نماذج التناص في شعر الرصافي؟

أهداف الدراسة:

- 1) بيان مفهوم التناص لغة واصطلاحاً.
- 2) إيضاح المصادر التناصية في شعر الرصافي.
- 3) تقديم أبرز نماذج التناص في شعر الرصافي.

منهج البحث:

اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث يقوم على أساس تحديد خصائص الظاهرة، ووصف طبيعتها، ونوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها، وما إلى ذلك من جوانب تدور حول سبر أغوار مشكلة أو ظاهرة معينة، والتعرف على حقيقتها في أرض الواقع، ويعتبر بعض الباحثين أن المنهج الوصفي يشمل كافة المناهج الأخرى، باستثناء المنهجين التاريخي والتجريبي؛ حيث إن عملية الوصف والتحليل للظواهر تكاد تكون مسألة مشتركة وموجودة في كافة أنواع البحوث العلمية، ويعتمد المنهج الوصفي على تفسير الوضع القائم؛ أي: ما هو كائن، وتحديد الظروف والعلاقات الموجودة بين المتغيرات، كما يتعدى المنهج الوصفي مجرد جمع بيانات وصفية حول الظاهرة، إلى التحليل والربط والتفسير لهذه البيانات وتصنيفها وقياسها واستخلاص النتائج منه. (احمد وسعد مرسى، 1986)

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

- المقدمة: وفيها بيان أهداف الدراسة ومنهج البحث فيها.
- التمهيد: وفيه مطلب واحد:
- المطلب الأول: تعريف التناص لغة واصطلاحاً.
- المبحث الأول: التناص الديني، وفيه مطلبان:
- 1) المطلب الأول: التناص اللفظي مع النصوص الدينية.
- 2) المطلب الثاني: التناص المعنوي مع النصوص الدينية.
- المبحث الثاني: التناص الأدبي، وفيه مطلبان:
- 1) المطلب الأول: التناص اللفظي مع الأدب القديم.
- 2) المطلب الثاني: التناص المعنوي مع الأدب القديم.
- الخاتمة: وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات التي تخرج بها الدراسة.

التمهيد:

المطلب الأول: تعريف التناص لغة واصطلاحاً.

أولاً - التناص لغة:

كلمة (تناص) - بتشديد الصاد- مصدر على وزن (تَفَاعَلَ) من الفعل الثلاثي المزيد بحرفين (تناصّ) على وزن (تَفَاعَلَ)؛ وبالرجوع إلى كتب التصريف لمعرفة المعاني التي تؤديها هذه الصيغة، وما يتناسب مع المراد من الكلمة في هذا الحقل الأدبي نجد أنها تدل هنا على المشاركة في أصل الفعل (الجرجاني، 1987).

وهو هنا النص، وهذا يدفعنا للحديث عن معنى (النص) في اللغة؛ فنقول: تدور المعاني الواردة في المعاجم اللغوية للفظ (النص) حول معنى الرفع؛ ففي معجم «مقاييس اللغة»: "النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء.

(عبد السلام هارون، 1979)

ويقول الزبيدي (ت: 1205هـ): "أصل النص: رفعك للشيء". (الحميري اليمني، 1999)
ومنه قولهم: نصّ الحديث إلى فلان. أي: رفعه إليه، ومنه أيضاً: منّصه العروس، أي: المكان المرتفع التي توضع عليه العروس ليراها الناس". (الجواهري، 1987)
وبناء على هذا البيان الصرفي لكلمة (تناص) واللغوي لكلمة (نص) فإن المدلول اللغوي للكلمة هو: المشاركة في رفع الشيء، والمشاركة هذه هي أحد المعاني الرئيسية التي تشكل منها المفهوم الأدبي لمصطلح (التناص)، إلا أنني وجدت في معجم «تاج العروس» ما نصه: "تناص القوم: ازدحموا، ولعل هذا المعنى يقترب من مفهوم التناص بصيغته الحديثة؛ فتداخل النصوص قريب جداً من ازدحامه في نص ما". (الزبيدي، د.ت.)

أولاً - التناص اصطلاحاً:

ظهر مصطلح التناص أول ما ظهر عند الباحثة جوليا كرسيفا في عام (1966م)، وذلك من خلال كتاباتها التي نشرت في مجلة (تل كل) ومجلة (كرتك)، وفي كتابها «نص الرواية»، وفي تقديمها لكتاب (دستويوفسكي) لباختين (البقاعي، 1998) وهو وإن لم يكن معروفاً بهذا المصطلح قبل كرسيفا فقد كانت مبادئه ومظاهره موجودة في الفلسفات الأدبية والنقدية السابقة والاتجاهات الكلاسيكية حتى نهاية مطاف القرون الوسطى تقريباً. (محمد زبير عباسي، 2014)

التناص في الدراسات الغربية:

إن مصطلح التناص هو مصطلح نقدي حديث مترجم عن المصطلح الإنجليزي (Intertextuality)، وهذا المصطلح الإنجليزي أحياناً يُترجم إلى (تناص)، وأحياناً أخرى يترجم إلى بينصية التزاماً بأمانة نقل المصطلح باللغة الإنجليزية.
وربما تكون الترجمة الأخيرة هي الأقرب للمصطلح في لغته الأصلية، والذي يجزئه بعض النقاد إلى (Inter) بمعنى (بين)، و(text) بمعنى (نص)؛ فيكون التعبير الأكثر دلالة هو (بين نص). (حمودة، 1998)
ومصطلح (التناص) كذلك في حقل الدراسات الأدبية يرتبط كذلك ارتباطاً وثيقاً بمصطلح (النص)؛ بحيث لا يمكن فهم المراد منه فهماً دقيقاً إلا بعد فهم مصطلح (النص) فهماً دقيقاً؛ وذلك لسببين:
الأول: أن النص في ذاته - مكتوباً كان أو شفهياً - هو المادة الأولية التي تقوم بتحليلها الأسنوية والفلسفة والنقد الأدبي وغير ذلك من العلوم المجاورة.

الثاني: أن عملية التناص في أساسها العام ليست إلا تقاطعاً بين مجموعة متعددة من النصوص (حصة البادي 1992)
هذا وقد اختلفت مفاهيم (النص) تبعاً لاختلاف مشارف أصحابها الفكرية؛ ففي التراث النقدي العربي كان النص مصطلحاً يطلق على متن الكلام نفسه، من غير زيادة على ذلك، وعلى ذلك جرت تعبيراتهم مثل: نص الحديث، ونص القصيدة... إلخ. (فريد الزاهي، 1997)

أما الدراسات النقدية الحديثة فإنها قد ركزت في تعريفها لمصطلح (النص) على مكوناته ووظيفته، وتعددت تبعاً لذلك تعبيرات النقاد عن مفهومه، إلا أنه يمكن القول إن جميعها لا يُخرج مصطلح (النص) عن أنه رسالة لغوية تعيد توزيع نظام اللغة عن طريق ربطه بالكلام التواصلية رامية بذلك إلى الإخبار مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة والمتزامنة. (فريد الزاهي، 1997)
نتنقل بعد ذلك لمصطلح (التناص) لنجده أيضاً من المصطلحات التي تعددت مفاهيمها بين الدارسين إلا أنه يمكن إجمال هذه التعريفات في أن التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة. (محمد مفتاح 1992)

التناص في الأدب العربي:

إن النقاد العرب القدماء وإن كانوا لم يستخدموا هذا المصطلح - قد تنبهوا لتلك الظاهرة التي تتمثل في أثر النصوص السابقة على النص الجديد (حصة البادي، 2009)

يقول عبد الله بن المقفع (ت: 142هـ): "فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه، أو يستحسن منه، فلا يعجب إعجاب المخترع المبتدع، فإنه إنما اجتبه كما وصفنا، ومن أخذ كلاماً حسناً عن غيره، فتكلم به في موضعه، وعلى وجهه، فلا تزين عليه في ذلك ضئولة، فإنه من أعين على حفظ كلام المصيبين، وهدي للاقتداء بالصالحين، ووفق للأخذ عن الحكماء، ولا عليه أن لا يزداد، فقد بلغ الغاية، وليس بناقصة في رأيه، ولا غامطة من حقه أن لا يكون هو استحدث ذلك وسبق إليه". (ابن المقفع، د.ت.)
ويقول ابن رشيق القيرواني (ت: 463هـ): "وقول عنتره". (التبريزي، 1992)

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارُ بَعْدَ تَوَهُمٍ

"يدل على أنه يعد نفسه محدثاً، قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً، وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم، ولا نازعه إياه متأخر، وعلى هذا القياس يحمل قول أبي تمام (ت: 231هـ) - وكان إماماً في هذه الصناعة غير مدافع. (القيرواني 1981)

يَقُولُ مَنْ تَقَرَّعَ أَسْمَاعُهُ كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ

ويوضح العلامة ابن خلدون (ت: 808هـ) أثر الحصيصة الأدبية المحفوظة في ذهن الأديب على إنتاجه الأدبي فيقول: "وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده، ثم إجادة الملكة من بعدهما؛ فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة؛ لأن الطبع إنما ينسج على منوالها، وتتمو قوى الملكة بتغذيتها؛ وذلك أن النفس وإن كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف في الإدراكات، واختلافها إنما هو باختلاف ما يرد عليها من الإدراكات والملكات والألوان التي تكيفها من خارج؛ فبذلك يتم وجودها. (الدرويش، 2004)

لقد تمحور الفكر النقدي العربي حول ثنائيات لم تنفك أن تكون الأساس في الذهنية العربية، وهذه الثنائيات تقودنا بقوة إلى حقل التناصية، وهي: السابق واللاحق، أو الابتداء والاتباع - الموازنة والمفاضلة - المصطلحات والقضايا التي تتضمن معنى التناصية، مثل: النقائص، السرقات. (الاحمد 2010)

كما وُجِدَتْ كثير من المصطلحات البلاغية - وخاصة في علم البديع - تعبر عن التناص للتناص للعمل الأدبي، من ذلك مثلاً مصطلح (الاقتباس)، وهو أن يضمن المتكلم كلامه من شعر أو نثر كلاماً لغيره بلفظه أو بمعناه ولا ينبه عليه. (حسن حَبَّكَّة 1996)

ومثل مصطلح التلميح، وهو أن يشير إلى قصة معلومة، أو نكتة مشهورة، أو بيت شعر حفظ لتواتره، أو إلى مثل سائر يجريه في كلامه على جهة التمثيل. (ابن حجة الحموي 2004)

ولا شك أن تلك المفاهيم وما تحمله من معيارية العلم - علم البديع - تساهم في إثراء فهمنا لنظرية التناص، وتفتح الباب أمام أي دراسة عربية لتضيف إليها أو تستقصى عليها. (صبري حافظ، 1996)

المبحث الأول

التناص الديني

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التناص اللفظي مع النصوص الدينية.

- المطلب الثاني: التناص المعنوي مع النصوص الدينية.

المطلب الأول: التناص اللفظي مع القرآن الكريم

لقد ألمحنا في المطلب الثاني من التمهيد إلى وجود بعض المصطلحات في التراث البلاغي العربي تدل بمفهومها على نفس ما يدل عليه مصطلح التناص في الدراسات الحديثة، ومن أهم هذه المصطلحات مصطلح الاقتباس في علم البديع؛ فإن بعض الدارسين يرون أنه هذا المصطلح يمكن أن يكون بديلاً عن مصطلح التناص. (المغيض، 1991)

وإذا نظرنا إلى مصطلح الاقتباس في التراث البلاغي نجد أنه يقصد به أن يضمن المتكلم الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه، وفي هذا التعريف للاقتباس وما تقدم من صلة قوية بينه وبين التناص بيان قوي لعلاقة لما يمكن أن نسميه (التناص الديني). وإذا كان التناص هو علاقة تربط مجموعة من النصوص الغائبة بذلك النص الحاضر فإن وصف هذه العلاقة هو في الواقع وصف لتلك النصوص الغائبة، وعليه فإن تعبير (التناص الديني) إنما يعني أن النصوص التي ساهمت في بناء هذا النص هي نصوص دينية، والتي تتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. (القلشندي، 2003)

والقرآن الكريم هو ذلك الكتاب المعجز الذي لم يؤثر فقط على الحياة الأدبية العربية، بل أثر أيضاً على التوجه التاريخي والثقافي والاجتماعي كله؛ فمن الطبيعي أن نجد صداه موجوداً في أدب العربية جيلاً بعد جيل. وأما السنة النبوية فقد كان لها كذلك أثرها الكبير على الأدب العربي؛ إذ إنها صدرت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أفصح العرب قاطبة، وقد تمثل أثرها في توسيع المادة اللغوية بما أشاعت من ألفاظ دينية وفقهية لم تستخدم من قبل هذا الاستخدام الخاص. (شوقي ضيف، دت)

ومن أمثلة التناص اللفظي مع القرآن الكريم في شعر الرصافي قوله: (ديوانه، السقا، 1953)
شَغَلْنَا الدُّنْيَا بِلَهْوٍ وَلَعِبٍ فَعَقَلْنَا وَالْمَوْتُ بِالْمُرْصَادِ

فمن يتأمل في هذا البيت يلاحظ فيه بسهولة التناص اللفظي مع القرآن الكريم؛ فقوله في الشطر الأول: (شَغَلْنَا الدُّنْيَا بِلَهْوٍ وَلَعِبٍ) مأخوذ من قول الله تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} (سورة الانعام 32). وقوله عز وجل: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ}. (سورة محمد 36) وفي قوله: (ديوانه، السقا 1953)

لَا بُدَّ لِلْمَعْرُورِ مِنْ مُنَدِّمٍ بِالْعَصَصِ تَدْمِي عِنْدَهُ الْإِصْبَعِ

نجد تعبيره (بِالْعَصَصِ تَدْمِي عِنْدَهُ الْإِصْبَعِ) مأخوذاً من قول الله تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا} (سورة الانعام 32)

وفيه - من الناحية اللفظية أيضاً- تناص مع قول الله تعالى: {وَإِذَا خَلَاوُا عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأُنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّوْرِ} (سورة ال عمران 119)

لقد اشترك بيت الرصافي السابق مع الآيات الكريمة في أنها استخدمت ألفاظ (العض على الأصابع والأنامل) للتمثيل والكناية عن الندامة والحسرة؛ ذلك لأن الذي تشد به الندامة والحسرة والغيط على شيء ما يكاد أن يعض على يديه غيظاً منه على ذلك. (باسلوم 2005)

ويقول الرصافي أيضاً: (ديوانه، السقا 1953)

سَلَكْتُكَ السَّما يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ أَمَدْتُكَ أَيَّما إِمدَادِ

وهو في هذا البيت آخذ من قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ}. (سورة الرمز 21) وفي بيت آخر للرصافي: (ديوانه، السقا، 1953)

سَعَةً تَحْسَبُ الْمَجْرَةَ فِيهَا حَلَقَةُ أَلْقَيْتَ بِصَحراءِ قَفَرِ

نجده قد أخذ التشبيه (حلقة ألقى...) من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكَرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ»

المطلب الثاني: التناص المعنوي مع النصوص الدينية

يعتبر التناص المعنوي أكثر وجوداً من التناص اللفظي، ليس في شعر الرصافي فقط بل في كل شعر توجد فيه ظاهرة التناص؛ ذلك لأن الشاعر من حيث المعاني مطلق الحرية؛ ليس مقيداً عليه كما يُقيد عليه في جانب اللفظ؛ فالمعاني مطروحة في الطريق، والشاعر تتحصر اختياراته اللفظية فيما يستقيم به وزن قصيدته (الجاحظ، 1424هـ).

ومن أمثلة التناص المعنوي مع النصوص الدينية في شعر الرصافي قوله: (ديوانه، السقا، 1953)

وما عسى تغني وقد حشرجت ندامة ليست إذن تتفع
قد زاعت الأبصار فيما ترى إذ فات عنها شرك المودع

من يتأمل في هذين البيتين يجد أن الرصافي قد استقى معناهما من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ ففي البيت الأول يطرح الرصافي لمعنى: عدم نفع الندامة في وقت الموت، وبلوغ الروح الخلقوم، وهذا المعنى مأخوذ من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَيَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغْ». وفي البيت الثاني عبر بـ(سرك المودع) عن الروح التي بها حياى الجسد البشري، والتي لا يعرف الإنسان عن سرها شيئاً، وهو معنى قول الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}. (سورة الاسراء 85)

وفي بيت آخر يقول الرصافي: (ديوانه، السقا، 1953)

أَجْدُكَ يَا كَوَاكِبُ لَا تُرِينَا بَيِّنَاتَا مِنْكَ يُخْبِرُنَا اليَقِينَا
كَأَنَّ الْعَالَمَ الْعُلُويَّ سَفَرٌ نَطَالِعُهُ وَلَسْنَا مُفْصَحِينَا

ففي هذين البيتين يشبه الرصافي الكواكب وما يراه من السماء بـ(السفر) أي: الكتاب الذي يطالعه الخلاق، وهذا المعنى مأخوذ من قول الله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكَتُبِ}. (سورة الأنبياء، الآية: (104)

ويقول الشاعر معروف الرصافي: (ديوانه، السقا 1953)

وَقَدْ يَفْتَرِي الْمَالُ الْفَضَائِلَ لِلْوَرَى وَلَيْسَ لَهُمْ مِمَّا افْتَرَاهُ نَصِيبُ

وهذا المعنى مأخوذ من الحديث: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لرجل عنده جالس: «مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا» فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، فسكت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم مر رجل آخر، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلُ هَذَا»

المبحث الثاني

التناص الأدبي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التناص اللفظي مع الأدب القديم.

المطلب الثاني: التناص المعنوي مع الأدب القديم.

المطلب الأول: التناص اللفظي مع الأدب القديم

المقصود بالتناص الأدبي هو تداخل نصوص أدبية مختارة شعرا أو نثرا مع نص الكاتب أو الشاعر الأصلي. (الزعبي 2002) ويمكن القول بأن التناص الأدبي هو المقصود الأول من كلمة (تناص) عند إطلاقها؛ ذلك لأن ثقافة الشاعر الأدبية من خلال قراءته لأشعار السابقين له، والاطلاع على نتاجهم الأدبي -إحدى أهم العناصر التي ألح نقاد الأدب على وجوب توفرها في الشاعر، وضرورة أن يكون متحليا بها- (الجرجاني، دت)

والواقع أن نسيج النص الأدبي العربي الحديث قد حاكه خيطان اثنان، هما:

- خيط التراث العربي.

- وخيط تراث الآخر.

وللمبحث بصدد الحديث عن الخيط الأول (خيط التراث العربي)؛ فمتتبع نصوص الشعر العربي الحديث منذ حقبة ما يسمى بالإحياء والبعث يلاحظ بسهولة الموروث الأدبي العربي واضحا فيه. (حصة البادي 2009)

ومن أمثلة التناص الأدبي على المستوى اللفظي في شعر الرصافي قوله: (ديوانه السقا 1953)

وَبَيْضَةُ خَدْرِ إِنْ دَعَتْ نَارَ هَوَى أَجَابَ: أَلَا لَبَّيْكَ يَا بَيْضَةَ الْخَدْرِ
مِنْ اللَّاءِ يَمْلِكُنَ الْقُلُوبَ بِكَلِمَةٍ وَيُحْيِيْنَ مَيِّتَ الْوَجْدِ بِالنَّظْرِ الشَّرِّ

فقد أخذ الرصافي تعبير (ببيضة الخدر) من بيت امرئ القيس الشهير في معلقته: (المصطاوي 2004)

وَبَيْضَةُ خَدْرِ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمْتَعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلٍ

وفي قوله:

هُوَ الدَّهْرُ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْعَيِّ أَهْلُهُ كَمَا اللَّيْلُ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ الشَّرِّ خَاطِبُهُ

نجد تعبير (حاطب الليل) الذي أخذه الرصافي من التراث العربي، وهو التعبير الذي يدل على التخبط وعد الأمن؛ لأن حاطب الليل ربما نهشته الحية أو لسعته العقرب في احتطابه ليلاً. (ابن سلام، 1980)

المطلب الثاني: لتناص المعنوي مع الأدب القديم

يقول معروف الرصافي: (ديوانه، السقا 1953)

وَمَا حَدِيثَاتُ الدَّهْرِ إِلَّا قَصَائِدُ يَفُوهُ بِهَا لِلْسَّامِعِينَ فَمُ الدَّهْرِ

تناص مع قول أبي الطيب المتنبّي: [من الطويل]

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُؤَاةٍ قَصَائِدِي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدًا

ويقول في أبيات أخرى: [من الطويل]

فأصبح في طرق التصعلك حائراً يحول من الإملاق في سم طمر
كان لم يرح في موكب العز راكباً عتاق المذاكي مالك النهي والأمر
ولم تزدحم صيد الرجال ببابه ولم يغمر العافين بالنائل الغمر

تناص مع قول الشاعر الجاهلي عبد يغوث بن وقاص الحارثي في قصيدته الشهيرة: [من الطويل]

كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ جَوَاداً وَلَمْ أَقْلُ لَخَيْلِي كُرِّي نَفْسِي عَنْ رَجَالِيَا
وَلَمْ أَسْبِ الرِّزْقَ الرِّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلُ لِأَيْسَارِ صِدْقٍ أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا

الخاتمة

أولاً - النتائج:

- 1) يعد التناص هو التمثيل الحي، والتطبيق الواقعي لثقافة الشاعر أو الأديب، كما أنه أصدق دليل على الخلفية الدينية أو التاريخية له.
- 2) التناص المعنوي في شعر الرصافي -وفي شعر غيره- أكثر نماذج، وأوسع متناولاً من التناص اللفظي.
- 3) يعد الرافدان: الديني والأدبي أهم الروافد الثقافية. وأبرز المراجع التناصية لشعر معروف الرصافي.

ثانياً - التوصيات:

- 1) محاولة دراسة الروافد الثقافية لكل شاعر؛ لما لذلك من دور كبير في فهم شعره، والإحاطة بالفلك الي يدور فيه.
- 2) محاولة الكشف عن مراجع التناصية في الأدب الحديث؛ لما لذلك من دور كبير في وصل حلقة ماضي الإنتاج الأدبي والشعري بحلقة حاضره.
- 3) ضرورة عدم الفصل بين الإبداع الشعري وبين شخصية كاتبه وثقافته هويته؛ لأن ذلك يؤدي إلى الخطأ في فهم شعره، ويؤدي إلى عدم توجيه ألفاظه الوجهة التي أرادها.

المصادر والمراجع

- ابن المقفع، (د.ت)، الأدب الصغير والأدب الكبير، دار صادر - بيروت، لبنان،
ابن سلام الجمحي، د.ت، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة.
ابن عصفور، 1996م، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، ط1،.
ابن فارس، 1979م، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ/

- أحمد ناهم، 2004 التناص في شعر الرواد، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد، ط1، أنجينو مارك، 1998، التناصية... ترجمة: محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- التبريزي، 1994م، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب، تحقيق: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي - بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ/
- التبريزي، 1992م، ديوان عنتر بن شداد بشرح الخطيب، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي - بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ/
- الجاحظ، 1424، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية - بيروت، ط2.
- الجرجاني، 1987م، المفتاح في الصرف، عبد القاهر، علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1407هـ/.
- الجرجاني، د.ت. الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية - صيدا، بيروت.
- جوليا كريستيفا، 1997م، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال - المغرب، ط1.
- الجوهري، 1987م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407هـ/
- حَبَّكَّة، 1416 هـ البلاغة العربية، عبد الرحمن حسن، دار القلم - دمشق، سوريا، ط1.
- حصة البادي، 2009م، التناص في الشعر العربي الحديث.. البرغوثي نموذجاً، دار كنوز المعرفة العلمية - عمان، الأردن، ط1، 1430هـ/
- حمودة، 1998م، المرايا المحدبة من النبوية إلى التنكيك، عبد العزيز سلسلة عالم المعرفة - الكويت.
- الحموي، 2004، خزنة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال - بيروت، لبنان، م، (د.ط).
- الحميري اليمني، 1999م، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد تحقيق: حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر - بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/
- الدرويش، 2004م، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد، دار البلخي - دمشق، سوريا، ط1، 1425/
- ديوان الرصافي 1953، شرحه وصححه: مصطفى السقا، دار الفكر العربي، ط4، 1373هـ م.
- رمضان، 2013م، التناص في الثقافة العربية المعاصرة، إبراهيم عبد الفتاح، مجلة الحجاز العالمية للدراسات الإسلامية والعربية، العدد (5)، 1435هـ.
- الزبيدي، د، ت، تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- شوقي ضيف، د.ت، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، دار المعارف - مصر، ط7
- صبري حافظ، 1996م، أفق الخطاب النقدي.. دراسات نظرية وقراءات تطبيقية، دار شرقيات للنشر والتوزيع - القاهرة، ط1.
- صلاح فضل، 1996م، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة - مصر، 1992م.
- عباسي، 2014، التناص.. مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن الكريم، محمد زبير، الجامعة الإسلامية - إسلام آباد، باكستان، 1436هـ/
- عبد القادر أبو شريفة - حسين لافي قزق، 2008، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر - الأردن، ط4، 1428هـ/
- العسكري. د.ت. جمهرة الأمثال، أبو هلال، دار الفكر - بيروت، (1/ 441).
- علي سليمي وعبد الوهاب طهماسي، 2000، التناص القرآني في الشعر العراقي المعاصر.. دراسة ونقد، -، مجلة (إضاءات نقدية)، 2012م، العدد رقم (6).
- التناص نظريا وتطبيقيا، أحمد الزعبي، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع - عمان، (د.ط).
- قطامش، 1980م، الأمثال لأبي عبيد القاسم ابن سلام، تحقيق: عبد المجيد، دار المأمون للتراث، ط1، 1400هـ.
- القلقشندي، 2003م، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية - بيروت. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، تحقيق: عبد الحميد هندائي، المكتبة العصرية - بيروت، ط1، 1423هـ.
- القيرواني، 1981م، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل - بيروت، ط5، 1401هـ/
- للزركلي، 2002، الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، ط15،
- الماتريدي، 2005، تأويلات أهل السنة، أبو منصور، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1426هـ
- المتنبي، د.ت. ديوان أبي الطيب بشرح الواحدي، شركة القدس - القاهرة.
- محمد مفتاح تحليل، 1992، الخطاب الشعري.. إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992م.
- المصطاوي، 2004م. ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن، دار المعرفة - بيروت، ط2، 1425هـ.
- المغيض، 1991 م، مصطلح التناص ومفهومه في النقد الحديث، تركي، مجلة أبحاث اليرموك، م، العدد (2).
- المفضل الضبي، د.ت. المفضليات، تحقيق: أحمد شاکر - عبد السلام هارون، دار المعارف - القاهرة، ط6.
- ناصر الدين، 2002م، ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط3، 1423هـ.
- النسفي، 1998م، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب - بيروت، ط1، 1419هـ.
- نهلة فيصل الأحمد، 2010 التناص النصي.. التناصية النظرية والمنهج، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، ط1.

النويري، 1423هـ.. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، ط1،

Cnsistencyin Arsafi Poetry

*Raghad Hamied Abdullah**

ABSTRACT

This study deals with a phenomenon through the poetry of Professor Maarouf Al-Rasafi, through two axes: the axis of religious texts represented in the Holy Quran, And the axis of literary texts represented in ancient poetry, on the verbal and moral levels

Keywords: Literature, Poetry.

* University of Anbar, Iraq. Received on 26/2/2019 and Accepted for Publication on 28/4/2019.